لماذا أبكي حسيناً

للاستاذ الكبير احمد امين

ما هذا الحزن الذي يحيط بالعالم الاسلامي عند هلال محرم الحرام ؟ ما هذا الأسى الذي يتداخل كل مسلم في هذه الايام ؟ ما هذا الوجوم الذي يعم الآفاق ؟ لماذا هذه المآتم وهذه المجالس المتعددات في شرق العالم وغربه ؟ لماذا تغلق المجوس حوانيتها ثلاثة ايام في هذا الشهر ، لماذا اتباع براهما بوترا في الهند يقيمون المآتم ؟ ويبذلون وينفقون ؟ لماذا تصرف الآن الدنانير لاطعام الفقراء والمساكين في هذه الأيام ؟ ذلك لان حدثا عظيما يهز العالم هزاً ، ذلك لان الفضيلة تصطدم بالرذيلة ، فيكون من نصيبها الخفوق ؟ اولا ثم الفتح والانتصار ذلك لان الضلال يريد ان يعود فيأتيه الحسين (ع) بنفسه ونفيسه فيقمعه قمعاً . ذلك لان الجاهلية الجهلاء تريد ان تبرز من جديد فيقابلها السبط بما عز لديه ، بطفله وولده وسبي رحله وذراريه ، ذلك لان الشرك يريد ان يخرج من قرن الشيطان فتتداركه رحمة الله الواسعة حسين عليه السلام فيمحقه محقاً باخبية تحرق وستور تهتك وثغور تقرع . كيف لا يهتز العالم لهذا الحادث العظيم وان حيـانه فيه ألا وهي الخلوة في هيم ابدي بتطهير النفس من الدنس والرجس وبعبادة الرحمن ، ذلك الذي خلق الانسان لاجله . كيف لا يضطرب العالم شكرا وتقديرا ، فانه لولا هذا الحادث الجلل لكان مستغرقا في عبادة الشمس واللات والعزى . فلو بذل العالم كل ما فيه من مال وذاب حزناً واسى وكآبة وسال دموعا ، لما وفى حقاً من حقوق محي الشريعة ومجدده اعني حسيناً عليه الصلاة والسلام .

ما هذا البكاء ؟ انما هو زفرات يزفرها الانسان مصحوبة بالدموع بصورة غير اختيارية اعترافا بعظمة الحسين وتقديراً لاعماله الخالدة الجبارة . انما هو مظهر من مظاهر الحب والولاء ، انما هو أمارة من أمارات العشق والوداد . وقد جاء في الحديث (هل الدين إلا الحب والبغض ؟) .

نسمع كـــثيراً ان كبار الرجال من سياسيين عظام لم يسمع انهم بكوا لحادثة يذكرون في تاريخ حياتهم انهم بكوا مرتين او ثلاثاً طيلة حياتهم ، اما تلك أم لهم توفيت او أب خطفه ريب المنون . كل ذلك لحب يتجلى ويسيل دموعا ساخنات وحسبي والله خـــدم البشرية اضعاف ما يخدم الوالد ولده والوالدة ولدها . لانه أحيى نفوس العالم الضالة واخرجها من الحيرة الى نور الهداية وهداهم سواء السبيل . لقد حضرت في احدى المواصم حفلة رائعة لتخليد ذكرى الكيماوي الشهير (برتلو) وان اكثر مدن العالم قد احتفلت في نفس اليوم بذكرى هذا الكيماوي الذي خدم العالم ماديا ، وما هي نسبة

لما انقطع ولما حصر : لا أدري كيف يكون الحسين مجهولا لديهم وهو يذكرهم هـذا التذكير والشعر يشهد فيه هذه الشهادة :

لم أنسه اذ قام يخطب فيهم ... فاذا هم لا يملكون خطابا
يدعوا ألست انا ابن بنت نبيكم ... وملاذكم ان صرف دهر نابا
فغدوا حيارى لا يرون لوعظه ... إلا الاسنة والسهام جوابا

فاتهموه بان الحسين (ع) لم يكن معروفا لديهم بالتشخيص والذات وهم زائف لا نصيب له من الصحة ولا حقيقة له من الوجدان . لذلك قال الشريف الرضي :

قتلوه بعـد علم منهم ... أنه خامس اصحاب الكسا
وإنما دعاهم الى ذلك شقوتهم وطمعهم بالاموال والهدايا التي كان يمنيهم بها أبن زياد .

فعلينا ايها السادة ان نعتبر من سيرة اهل العراق مع الحسين (ع) وان لا نتابعهم في الجري وراء الاطماع والجشع فانها مورد الهلكة . وعلينا ان نتمسك بسيرة الحسين وابائه في الوقوف امام العدو الجائر وان لا نجعل له علينا سلطانا لا في فلسطين ولا في غيرها ولو ادى ذلك الى فنائنا فالحياة في موتنا قاهرين وموت في حياتنا مقهورين ، مستمدين من فرع رسول الله (ص) وشبله فيصل الثاني وخاله سمو الوصي المعظم خير سند وعماد فانهم خلف هذا البيت الطاهر الذي امرنا الله بمودتهم ؟

بغداد — شمس الدين الخطيب

احياء النفس الانسانية بصورة ابدية الى خدمة بدنية يقدمها الكيماوي مع تقديرنا لخدمته .

ان الشرع الاسلامي قد نهى عن البكاء لامور تافهة دنيوية وامر بالصبر وجعل البكاء مبطلا للصلوة واستثنى البكاء اثناء الصلاة خوفا من الله تبارك وتعالى وحباً لحسين السبط ولذلك يقول صلوات الله عليه « انا قتيل العبرة » لا يذكرني مؤمن إلا استعبر » فالبكاء على الحسين (ع) من علامات الايمان الواقعي الحقيقي .

كان الصادق عليه السلام يقول : « الحسين عبرة كل مؤمن » .

ليس البكاء على انحاء الفضيلة يبعث على الذل والمسكنة كما يظنه البعض فان النفوس لتصدأ كما يصدأ النحاس ولا يزيل هذا الصدأ الا البكاء من خشية الله والبكاء على ملتقى الفضائل ومجمع التضحيات الحسين عليه الصلوة والسلام .

كان صديق لي من الافاضل في النجف الاشرف يقول لي اني اشعر ان نفسي تصدأ ان لم احضر مجلس الحسين (ع) في كل اسبوع مرة فابكي ، فاذا بكيت اشعر بعد البكاء بارتياح وفرح وسرور واطمئنان وترفع عن العالم المادي ، فالميزة الفارقة بين البكاء الباعث على الذل والهوان هو ذلك البكاء الذي يتعقبه حزن وكآبة وظلمات ، ولكن البكاء من عقاب الخالق او البكاء للندم الحاصل للانسان من جراء ما اقترفت يداه من الذنوب يريح النفس ويبعث على السرور والفرح وكل من جرب ذلك يصدقني فيما اقول : ولقد شاهدت اناساً كثيرين يبكون حسيناً باخلاص لا تأخذهم في الله لومة لائم ، جربتهم وسبرتهم فرأيتهم من خيار الناس وابرارهم فكأن هذا البكاء الخالص لو كان عن معرفة يؤثر في النفس فيهديها سواء السبيل فتبدوا آثار هذه الهداية في الافعال والمعاملات .

أليست التجربة مدار البحث في علم النفس الحديث أو بالاحرى في علم مظاهر النفس الحديث ، أليس اكثر مقتبسات علم النفس الحديث تم بطريقة (آنكت) اي السؤال والتتبع والفحص عن نفسيات ثلة من الناس . وقد وجدت الذين لا يرتضون البكاء على الحسين (ع) أقل عطفاً وحناناً من الطبقة الاولى المارة الذكر . فاني ارى ان من علائم الانسان الكامل ان يحزن ويبكي لهذا الحادث العظيم الذي به تجلى الدين وبه عرف الله وبه عبد ، كيف لا ويزيد يقول متمثلا بقول ابن الزبعرى :

ليت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف ان لم انتقم ... من بني احمد ما كان فعل

فهذا البكاء بكاء للدين ولله تعالى ومن تتبع ادوار هذا البكاء الحسيني علم كيف يأخذ بالانسان فيجعله في واد كله صفاء وكله نور .... ولا يسع المجال ان انقل مقالا ضافياً طالعته في مجلة (الكلية) التي تصدر ببيروت عن فوائد البكاء المادية وكيف يفيد العين ، وكيف يكون سبباً لقتل كثير من الجراثيم التي تصاب بها العين . ذلك لان كلما جاء في الشرع المحمدي من اعمال لها فوائد روحية تؤدي الى كمال النفس الانسانية وفوائد مادية تفيد الحياة المادية الاجتماعية .

ثم أليس عظماء الدين كانوا غزيري الدمعة مع بسالتهم وشجاعتهم وقيامهم باعمال خارقة هذا علي عليه السلام يصفه ضرار بن ضمره قائلا :

« كان والله غزير الدمعة .. الى ان قال ... لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته الشريفة يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين .الخ »

ليس البكاء على الفقيد بدعة ، والادلة على ذلك كثيرة منها الاصل العملي يقتضي اباحة البكاء على الفقيد ورثائه بالقريض وتلاوة مناقبه ومصائبه والجلوس حزناً عليه والانفاق عنه في وجوه البر .

ويستفاد من الادلة اللفظية والسيرة القطعية استحباب البكاء اذا كان الفقيد مستجمعاً لصفات الفضل او مضحيا نفسه في سبيل احياء الفضيلة كي يتأسى به الاخرون ويقتدي به الباقون فتنمو الفضيلة وتستأصل الرذيلة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قد بكى يوم أحد على عمه حمزة حتى قال ابن عبدالبر في ترجمته : « لما رأى النبي (ص) حمزة قتيلا بكى فلما رأى ما مثل به شهق » وذكر الواقدي أن النبي (ص) : « كان يومئذ اذا بكت صفيه يبكي ، واذا نشجت ينشج قال « وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكى رسول الله (ص) »

وقد اخرج البخاري ان النبي (ص) بكى على جعفر وزيد وقال :

اخواي ومؤنساي ومحدثاي وقد بكى رسول الله يوم مات ولده ابراهيم كما في الجزء الاول من صحيح البخاري صفحة ١٤٨ فقال له عبدالرحمن بن عوف : وانت يا رسول الله؟ قال : يابن عوف انها رحمة ثم اتبعها « يعني عبرته » باخرى . فقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا مايرضي ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » .

ومنها يوم ماتت احدى بناته (ص) فجلس على قبرها كما في صحيح البخاري وعيناه تدمعان . ومنها يوم مات صبي لاحدى بناته اذ فاضت عيناه يومئذ « كما في صحيح البخاري وصحيح مسلم : فقال له سعد . ما هذا يا رسول الله . قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء . وقد ذكر ابن عبدالبر في استيعابه مالفظه « دخلت فاطمة وهي تبكي وتقول واعماه . فقال رسول الله (ص) على مثل جعفر فلتبكي البواكي . وان اهل المدينة الطيبة لا يزالون الى الآن اذا ناحوا على ميت بدأوا بالنياحة على حمزة .

وما ذاك الا مواساة لرسول الله (ص) بمصيبته في عمه وأداء لحق تلك الكلمة التي قالها في البعث على البكاء عليه وهو قوله (ص) « لكن حمزة لا بواكي له » واخرج ابن سعد كما في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر من (الصواعق المحرقة) لابن حجر عن الشعبي قال : مر علي عليه السلام بكربلا عند مسيره الى صفين وحاذى نينوى فوقف وسأل عن اسم الارض فقيل كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال عليه السلام : « دخلت على رسول الله (ص) وهو يبكي فقلت ما يبكيك : (بابي انت وامي) قال كان عندي جبرائيل آنفا واخبرني ان ولدي الحسين يقتل بشاطي الفرات بموضع يقال له كربلا » واخرج الملا (كما في الصواعق ايضا) ان عليا عليه السلام مر بموضع قبر الحسين (ع) فقال هاهنا مناخ ركابهم وهاهنا موضع رحالهم وها هنا مهراق دمائهم . فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والارض » .

ومن حديث ام سلمه كما نص عليه ابن عبد ربه المالكي حيث ذكر مقتل الحسين (ع) في الجزء الثاني من العقد الفريد قالت : كان عندي النبي (ص) ومعي الحسين فدنا من النبي (ص) فاخذته فبكى فتركته فدنا منه فأخذته فبكى فتركته فقال له جبرائيل : أتحبه يا محمد قال : نعم قال : ان امتك ستقتله وان شئت أريتك الارض التي يقتل بها فبكى النبي (ص) فالى تعظيم الشعائر وتقوية الدين بتخليد اسم من خلد الدين واحياه ، واعني به حسين الفضيلة وحسين الاباء ادعوا اخواني المسلمين .

الكاظمية — احمد امين

قافية الطف

القصيدة التي القاها السيد راضي الطباطبائي في الحفلة التي اقيمت في جامع الكوت عاشر المحرم

لقد حملتني من صبابتها العزما ... وسامت فؤادي لاذعات الجوى ظلما
وسار بها الحادي يسوق مطيه ... الى حيث لالقيا ولم اقترف جرما
دجت بعدها شمس الصباح بناظري ... وكان ضياها ان دنت كشف الظلما
واصبح عيشي في نواها مكدراً ... وقد كنت اي والله لا اعرف الغما
ولاح بهجر القول ألعب مسمعي ... فياليت سمعي عن ندا مثله صما
وان الذي يلحى غرامي ويرتجي ... سلوي فذا والله في شرعتي اعمى
وما أنا في سلمي وأسما وعاتك ... تدلهت لكن في الهوى مطلبي اسمى
م الناس إلا انهم من محمد ... فلم يقبلوا الا لحالقهم حكما
ابوهم علي المرتضى فارس الوغى ... وامهم الزهراء أكرم بها اما
أحن لهم حتى اوسد في الثرى ... حنيناً واهوى الموت فيهم ولو ذما
قداعتورتهم لهف نفسي كوارث ... وكارثة المظلوم كانت هي العظمى
ايضحك ثغري والحسين بكربلا ... وحيد يقاسي الجور والغم والهما
(حرام على قلبي السرور) وقلبه ... غدا يوم عاشوراء يلتقم السما
سلام عليكم آل طه فانني ... لذكراكم استعذب النثر والنظما
فهيا شباب العصر وانهج كنهجهم ... فان حسينا لا يريد لك اللطما
أليس ابي الضيم ضحى بنفسه ... وقد علم الناس الشجاعة والعزما

الكوت — راضي الطباطبائي